

الكتاب

نقولا ناصيف في "جمهورية فؤاد شهاب" برّ عهده وأنصف آخر الشهابيين

خمسة أيام فصلت ما بين احرق اهم الوراق والوثائق والمذكرات واللاحظات والتعليقات التي احتفظ بها فؤاد شهاب منذ كان في رتبة نقيب في ثلثينات القرن الماضي، وبين بقائها سجلا للتاريخ. فكانه في 20 نيسان 1972، حين احرقها، امتصر مصيره ومصير لبنان.

خمسة أيام طوى فيها الغموض الكبير من التطورات السياسية والاحاديث بدلا من توضيحها، بغية انصاف الرجل الذي تعرض لحملة تشهير بعهده – خصوصا من المسيحيين – من خلال محاكمة ضباطه في الشعبة الثانية التي اعتبرها غير منصفة وظالمه تستهدف عهده بالتنبذ والتشهير والاساءة، رغم انه اكثر العهود استقرارا واقترابا من مثال الدولة.

وفي لحظة احرقه الاوراق لم يرجح ان ينصفه المسيحيون، ابناء جلدته، قبل الآخرين، فتمثلت له هفوات الحكام وسقطات الرجال وشوائب اصحاب السلطة الذين لا يتزكون للتاريخ ان يحكم بانصاف. ولا رأي انه قادر على ان ينصف نفسه لانه "لا يحب ان يكتب عن نفسه"، لذلك "احرق اوراقه ولا يريد ان يكتب شيئا او يكتب عنه شيء"، كما ببر فعله.

كذلك لا يريد ان يقال عنه يوما انه "كتب كي يبرر مرحلة عهده والدفاع عنها كما فعل سواه"، وقال: "لا اريد ان يكتب عن احد ولا يدافع عن عهدي احد ولا ان يؤتى على ذكر عهدي". اما زوجته فقالت: "احرق كل اوراقه ولم يبق على ورقة حتى لا يكذب، ولانه لا يستطيع ان يكتب كل ما يعرفه، الناس لن يصدقونا".

ترك للتاريخ ان ينصف عهده ويبير له، فجاء نقولا ناصيف في كتابه "جمهورية فؤاد شهاب" منصفا للرجل ومبررا لعهده، واعاد البريق الى شخصية الشهابي الحفيد بعد الشهابي الكبير، وابرز مجد الشهابية الى جانب مجد بكركي التي طالما احترم شهاب موقعها و أكد ايمانه برعائتها، رغم اختلافه مع سيدها آنذاك بولس المعوشى الذي لم يستلتح المصالحة مع الرئيس الماروني شريكه على قمة المجد الماروني.
لقد قيض لشهاب من ينصفه، ويعظم عهده في بناء اسس دولة لم يكملها الاخرون، فهل يقيض لنظيره في التجربة من ينصفه؟

هل ثمة شهابية من دون شهاب؟

كيف انصف ناصيف شهاب والشهابية؟ وكيف اعاد وضعها في واجهة التاريخ؟ قبل الاجابة عن هذين السؤالين الفت الى امررين:
اولا – اعتبر اتباع شهاب رئيسهم "نصف الله" وتعاملوا معه على هذا الاساس، كذلك يتعاملون مع ذكره.
ويلمس القاريء ان ناصيف لم يحد عن هذا الطريق.
ثانيا – هل هناك شهابية من دون فؤاد شهاب؟

استنتاج ان لا شهابية من دون فؤاد شهاب، كما لم تستمر الناصرية من دون جمال عبد الناصر. فالتجربتان تتماثلان في الصعود والانهيار، مع الاخذ في الاعتبار حجم البلدين.
لقد وضع شهاب بقائه في عبد الناصر فلم يخيه، وشكل رافعة داخلية لحكمه بتأثيره على المسلمين في لبنان.
انهارت الشهابية بفعل عوامل داخلية واخرى خارجية:
- داخليا، لم يكن اختيار شهاب شارل حلو خلفا له موفقا، اذ لم تمض سنتان على الولاية حتى كان قد انحاز الى الطرف الآخر واخذ ينسق مع كميل شمعون وريمون اده. كما خسرت الشهابية حليفها القويين: بيار الجميل الذي انضم الى الحلف الثلاثي عند تشكيله، وكمال جنبلاط الذي انضم الى خندق ياسر عرفات في مواجهة الشعبة الثانية العمود الفقري للشهابية.

- خارجيا جعلت هزيمة عبد الناصر في حرب 1967 جناح الشهابية الخارجي القوي مهيبا، وتعاظم عداء الجانب السوري للبنان مع تسلم حزب البعث السلطة. وتدقق الفدائيون الفلسطينيون على لبنان بعد حوادث ايلول 1970 في الاردن التي ترافقت مع وفاة عبد الناصر، فتحول المسلمون اللبنانيون عن الناصريين الى العرفاتية.

وهكذا تهافت التجربتان الشهابية والناصرية في المرحلة عينها وحوكِم رجالهما. فحين سقطت الناصرية سقطت مصر في كعب ديفيد، وحين سقطت الشهابية سقط لبنان في الحرب الفلسطينية – اللبنانية.

وبالتالي فإن التجربتين اللتين اختارهما شهاب نفسه ليكمل بهما الشهابية - شارل حلو العام 1964 والياس سركيس العام 1970 - وكان يفترض أن تنتهي إلى المدرسة نفسها، لم تكمل ما بدأ شهاب ولم تستكملا بناء الدولة واصلاح الادارة وانماء المناطق، وغيرها من ركائز الحكم الشهابي، بل اختلفا اسلوباً ومضموناً ولا شك في تأثير الظروف السياسية الداخلية والخارجية والاضطرابات الأمنية التي اخذت تتبلور في عهد شهاب وكانت في أقصى انفجارها وتتأثرها في عهد سركيس. لكن النتيجة استحالة استمرار شهابية من دون شهاب لأنها "رجل وأسلوب عمل ونظام حكم متماشٍ تماماً مع مثلك الإدارات: السياسة والجيش والإدارة" فيما وصف شهاب نفسه تجربته في الحكم بأنها "اسلوب حكم ونهج اصلاحي وتجربة".

حياة الحاكم الشهابي من حياة وطنه

إذ، بعد خمسة أيام من احرق شهاب اوراقه توفى متأثراً بما حل بضاربه وبما يتوقعه لجيشه فافرط في "الزعل" وفي التدخين ما زاد جسمه وهنا على وهن وتداعي جسده بسبب نوبة قلبية قبل ثمانية أيام من بدء تداعي الوطن، حيث وقعت معركة كبيرة بين الجيش والفلسطينيين في 3 آيار 1973، ورغم ان الجيش لم يخسر ولم ينهزم لكن الدولة انهزمت أمام التدخلات العربية، وكانت بداية التراجع أمام العنف الفلسطيني المستشرى.

وبحسن الحاكم الشهابي، وقد عاصر لبنان منذ انشائه، ادرك قبيل وفاته ان لبنان "مقبل على أيام سود" ورأى "بركا من الدم"، وتصور الوضع فاتحاً ومقبلاً على خطير داهم اقرب الى انهيار كبير، كما لخط جوزف ابو خاطر حدثه الاخير معه. وربما عبرته التالية تعبيراً عن تشاومه، حين نظر الى تمثال سيدة حریصاً قبلة منزله وقال: "ستأتكم ايام لن يبقى لكم منها الا تلك الوافقة فوق".

تملكه الجمهورية فكان ملكاً عليها، كما كان عبداً لها، في شعور عميق بالمسؤولية عنها، كالأم حيال طفلاها احس بالخطر يحدق بلبنان الذي سيغلب على أمره حين يغلب فيه كباره هما السيادة والاستقلال.

وضع ميناريولو للوضع في لبنان ولعلاقة رئيس الجمهورية برئيس الحكومة، وحال الامور وفي حدثه مع فؤاد بطرس الذي حاول اقناعه بالترشح للرئاسة العام 1970، قال: "الوضع دقيق جداً ونحن مقلدون على مرحلة واحادث خطيرة ودقيقة جداً في لبنان وفي محيطنا، وستكون امامنا صعوبات ومشكلات سياسية وعسكرية قد تضطرني الى استخدام الجيش، عندنـذـ سيعارض رئيس الحكومة - ايـ يكنـ - ويرفض على غرار ما حصل مع سواي وتتكرر الازمات الداخلية. ورغم صلاحياتي الواسعة كرئيس للجمهورية الا انها لن تسمح لي بمواجهة الاحداث. اذاك ساجد نفسي كرئيس للجمهورية وفائدـ سـابـقـ للـجـيشـ مـربـكاـ وـعـاجـزاـ عن التصرف ما يـسـيءـ الىـ صـورـتـيـ لـدىـ النـاسـ. فـهـلـ تـرـيدـ لـىـ اـنـهـاءـ حـيـاتـيـ السـيـاسـيـ بـفـشـلـ كـهـذاـ؟ـ الـافـضلـ انـ لاـ اـتـرـشـ".

ويبدو شهاب هنا يقدم المظاهر على المضمون والمصلحة الشخصية - خصوصاً على صورته من ان تمس - على المصلحة الوطنية، اي ما سبق عليه البلاد وتحتاج الى رئيس مثله قادر على التعامل مع الاحداث باسلوب مختلف، لكنه بعدما رأى ما حل بضاربه في المكتب الثاني واوضاع البلاد ندم على تخاذله.

لم يناور في رفض التجديد العام 1964، وكان حاسماً في رفض الترشح العام 1970، فرشح الياس سركيس، لكنه بعدما لم يتحول الاوضاع في لبنان نحو الاسوأ عَبَرَ عن ندمه لعدم ترشحه للرئاسة، لعله كان يحاول ان يضبط الفلتان الفلسطيني. وبالتأكيد لو صار رئيساً عاذباً لما تعرض ضباط المكتب الثاني للملaqueة كما جرى لهم، بل كان عزز اوضاعهم لمواجهة الاستثناء الفلسطيني.

لكن قراره جاء نتيجة لاستنتاجه ان المؤسسات الدستورية والوطنية التي خبرها في ولايته اضحت اضعف في مواجهة التقليبات والتحولات في لبنان والمنطقة، "ولم يعد الدستور صمام امان للنظام الموشك على الانهيار، ولا الصالحيات تمنح الرئيس السلطة والامكانيات على جبه المفاجآت".

التدخل في الشؤون اللبنانية

سيق هذه المرحلة ان حوادث 1958، ضمن ما ادت اليه، انها فتحت الباب للعرب للتدخل في الحياة السياسية اللبنانية الى جانب الدول الكبرى، ففرنسا وبريطانيا في عهد بشارة الخوري والولايات المتحدة الاميريكية في عهد كميل شمعون. لقد "ولد ترابط وثيق بين الخلافات والصراعات الداخلية وبين دينامية التأثير الخارجي فيها على ابواب انتخابات رئاسة الجمهورية، تارةً واستباقاً لهذه بافعال ازمات وطنية او دموية توطنية للاضطلاع بهذا الدور طوراً".

ويتخذ التدخل في الشؤون اللبنانية مظاهر مختلفة، فخلافاً للضغط السياسي (اقفال الحدود مثلاً) والامني (زرع عبوات ناسفة او اغتيال...)، ومن هذه المظاهر، ذات الشكل الايجابي، خرق المراسيم المتعلقة باستقبال السياسيين، فال ihtـالـ الرـئـاسـيـ والـشعـبـيـ التي احاطـهاـ الرـئـيـسـ بـشارـ الاسـدـ بالـرـئـيـسـ العمـادـ مـيشـالـ عـونـ، في لـفـةـ شـكـلـهاـ شـخـصـيـ وـمـضـمـونـهاـ وـطـنـيـ وـتوـحـيـ الـكـثـيرـ ماـ يـقالـ فـيـهاـ، سـبـقـهـ الىـ مـثـلـهاـ الرـئـيـسـ عـبدـ النـاصـرـ العـامـ 1955ـ معـ وزـيرـ الـخـارـجـيـ حـيدـ فـرنـجـيـ بـصـفـتـهـ اـحـدـ الـرـئـيـسـ الـاـكـثـرـ حـظـاـ للـرـئـاسـةـ، وـالـذـيـ كانـ عـبدـ النـاصـرـ يـجـذـبـ رـئـيـساـ، كـذـلـكـ كـانـتـ مـرـاسـمـ التـكـرـيمـ الـتـيـ يـعـتمـدـهاـ الرـئـيـسـ الـفـرـنـسـيـ جـاكـ شـيرـاكـ معـ

الرئيس الشهيد رفيق الحريري تتجاوز البروتوكول المعتمد حتى لرؤساء الدول. إذا هذا كله يعبر عن مظاهر ذات دلالات في التأكيد السياسي الداخلي. وفي هذا السياق نضع اجتماع الرئيس شهاب والرئيس عبد الناصر في خيمة على الحدود اللبنانية - السورية، الذي أرسى تقافهما على حكم لبنان وضع حدا لحوادث 1958، ومذذاك كسرت سبحة "التفاهمات" التي تسمح بالتدخل في إدارة الحكم في لبنان. وكان اللافت أن شهاب أمضى عهده، ولم يلتقي أي مسؤول عربي بعد لقائه عبد الناصر ولم يحضر أي قمة عربية ولم يقم بأي زيارة خارج لبنان. فاكفي، عن هذا كله، بالتنسيق مع عبد الناصر.

مقومات الحكم ومفاهيم الإصلاح

خلافاً لما اشاعه عنه خصومه، خصوصاً المسيحيين، عن الافتئات على حقوقهم، فإنه في الحقيقة، فضلاً عن أيامه المسيحي العميق الذي يخبر عنه ناصيف الكثير، كان مهتماً جداً بوضع المسيحيين في لبنان ومستقبلهم ومتخوفاً عليهم من التطورات السياسية والديموغرافية داخلياً وخارجياً.

لذلك عمد إلى ترسیخ مفاهيم في الإصلاح ومقومات في الحكم تخدم هذا الهدف بعده، مرتكزاً على التوازن ما بين الطوائف وفقاً لمعادلة مشاركة متكافئة لا تفقد الرئيس هيبيته وسطوه ولا يجعله يغلب طرفاً على آخر ولا يذيب فريقاً من أجل حماية مصالح آخر، وهذه القاعدة اعتمدها أيضاً في احداث توازن داخل الحكومات فلا يتأتى لوزير ان يستأثر بتمثيل طائفته او مذهبه، ولا ان يصبح دوره اكبر من موقعه في الحكومة.

كذلك ارتى احداث تجديد في بنية السلطة الاجرانية من اقصاء الزعامات التقليديين، بل كانوا احياناً عماد حكوماته، بتكرис مبدأ تداول السلطة بالاستعنة بوجوه جديدة، وبتمثيل كل الطوائف والكتل السياسية والاحزاب والمناطق. ورفد الاجراءات الداخلية في بناء دولة الاستقلال بالانفتاح على الجوار العربي والعالم البعيد وابعاد لبنان عن المحاور،اقليمية او دولية.

ولا يمكن العبور في عهد شهاب من دون التوقف عند انجازات بعثة "ايرفـد" برئاسة الاب لوـي جوزف لوـيرـيه في وضع الاسس التي ارتكز عليها الاصلاح الاجتماعي والإداري والاقتصادي.

وقد لا يكون ما اراده انجازاً هو هكذا في نظر البعض، اذا قورن بما يذهب الى المسؤولين من انجازات في المراحل اللاحقة، فهي غير من قبيل مقارنة بما حقه شهاب في سنة واحدة اذ ربط 1138 قريبة في مختلف المناطق اللبنانية بشبكة طرق. لقد تسلم بذلك هذه ارقامه:

- العام 1959 كان في وسع 500 بلدة لبنانية فقط الحصول على مياه الشرفة، وفي 1960 لم تكن الكهرباء وصلت إلى 350 قرية شيعية من 150 ولا توافرت مدارس رسمية في 300 بلدة في عكار والجنوب من 1500 قرية، وعام 1959 لم يتجاوز عدد الثانويات الرسمية في لبنان تسعاً - وسلمه بأرقام مذهلة. ويكفيه انجاز الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، فليحافظ عليه الاجراء حتى باسنانهم. وهكذا جعل ركيزة لبنان الوحيدة الوطنية والعدالة الاجتماعية.

فما الذي ميز شخصية شهاب عن غيره من رؤساء الجمهورية؟

شخصية شهاب

كان شهاب أميراً محاطاً بيكونات ومشياخ وامراء مثلوا بيوتاً سياسية تقليدية على امتداد الجغرافيا اللبنانية، وكان يحترم هؤلاء بصفتهم هذه ويريد المحافظة على مواقعهم ولا يجد اغلاق هذه البيوت، لكنه فوق ذلك حكم كرنيس وليس كأمير، اي انه كان يخضع الحكم للقوانين وليس للأهواه، كما انه اكتشف الحل الوسط المتأخر كي يحكم وهو ان يحكم من خلالهم جميعاً ومعهم، ولا يجعلهم وحدهم يحكمون.

لقد قرّب بيوتاً من الكتلة الدستورية ما افضى إلى نفور خصوصها، خصوصاً الكتلتين، وربما هذا يفسر سوء التفاهم بينه وبين ريمون اده مع انه وزرّه في حكومة العهد الأولى الرباعية... فضلاً عن الاشكالات أخرى.

ارتکز في حكمه على "الطويلين" كما كان يسميهما اي بيار الجميل وكمال جنبلاط كقائدين حزبيين شعبيين يديران دفة جمهور طائفتيهما.

لكن تشتتة العسكرية، فضلاً عن محتدته بانتسابه إلى الامراء الشهابيين، جعلاه متراجعاً عن السياسيين وعززاً الشكوك حولهم، خصوصاً انه بعدما اخترهم اكتشف انهم يتصرفون خلافاً للقيم السياسية والوطنية ويعملون القضايا الشخصية، وبناء عليه لقب السياسيين باتهم "أكلة الجبنة" لأنهم "لا يمشون مع الوطن مجاناً".

كان ثاقب البصيرة، قادرًا على تصور المستقبل بالاستناد إلى تحليل واقعي للأمور، لذلك قال للذين ارادوه رئيساً خلفاً لهم: "إذا فتحت هذا الباب (ان يصبح قائد الجيش رئيساً فمن يقله؟ من سيكون في وسعه مستقبلاً منع اي ضباط من الترشح لرئاسة الجمهورية اذا وافقت انا؟) ميغتير اي ضابط ان هذا المزار اب حق مشروع له". وبناء عليه صار كل قائد للجيش مرشحاً محتملاً للرئاسة بدءاً بابن عمه عادل شهاب إلى امبل البستاني... وقد حصل الامر مرتين بعد شهاب".

كان شهاب بعيداً من الناس، لم يسع إلى بناء شعبية، لم يخطب يوماً في جمهور، كلماته القليلة في مناسبات وطنية كانت تكتب لها فيقرأها، لكن ناصيف ذكر تفاصيل كثيرة متعلقة به وبزوجته كانت مجبوة من العامة، وأفاض احياناً بوجданية تمس شغاف القلب عن علاقتها.

كما يشهد له بالشفافية في التصرف باموال الدولة رئيسا او قائدا للجيش ومن هذا المنظور يمكن للمرء ان يفهم مدى القسوة التي عامله بها "أكلة الجبنة" من السياسيين واصحاب المصالح وارباب الفساد وجلهم هكذا. وهو ما نشهد له مثيلا فاضحا في هذه الايام.

وتحسرا على الظلم الذي أطلقه به السياسيون، ولاته "اسقط في يده" في مواجهتهم، كان يبدى اعجابه بشقيق جد جده الامير بشير الشهابي الكبير قائلاً "وحيه عرف كيف يحكم لبنان، وعرف كيف يفهم لغة اللبنانيين". فيما عبر هو عن خطنه في "عدم ادراكك تماماً عقلية اناس كثيرين من اهل بلدي"، وقال: "ادرك الان، وان متاحراً، ان معظم الحاكمين لا يقومون الا بلعب الدوار في ملهاة كبيرة تجعلهم يبدون وطنين كباراً". ان الشهابي على غرار الشهابيين، وغيرهم من حكمو لبنان، "بني دولة وافق في بناء وطن"، كما تقول زوجته والحق ان احدا حتى الان في لبنان لم يستطع بناء وطن، بل ان كثيرين عجزوا ليس عن بناء دولة فحسب، بل حتى عن المحافظة على دولة كانت قائمة.

دولة العسكري

وضع شهاب نظاما عسكريا صارما بناء على التقاليد العسكرية الفرنسية وطبقه بذاته على العسكري الذي صار مضرب مثل في الانضباط بين الجيوش العربية. واعتقد في بناته على كتابين في الجيش هما: الاخضر وهو قانون الجيش، والازرق الذي يحدد التعليمات التطبيقية، وهما كتاباه العسكريان الى جانب الدستور كتابه السياسي، وقد نسب اليه قوله عند كل معضلة سياسية "ماذا يقول الكتاب؟".

ان التوازن الذي اقامه شهاب قائد للجيش بين المؤسسة العسكرية ومؤسسات الحكم المدني، بالنأي بالجيش عن تدخل السياسيين فيه، اختلف حين اصبح رئيسا للجمهورية وبقي "قائد ظل" للجيش. اذ اخذ "المكتب الثاني" في الجيش يتدخل في شؤون مؤسسات الحكم السياسية، فإذا كان من حقه، وقد نجح في ذلك، ان ينأى بالجيش عن تدخل السياسيين، فكان من حق السياسيين ان يحولوا دون تدخل الجيش في شؤون الحكم. وعندما لم يحصل ذلك اختلف التوازن ودارت الدوائر على الجيش وليس على السياسيين. وبالتالي بقي شعاره من دون جدوى عن "الالتزام الحتمي المتكامل وغير المتعارض بين الاستقلال الذي يحميه الجنود والديمقراطية التي يصنعنها السياسيون".

فالتوازن بين الطرفين مفقود، لأن ثمة تعارضا دائماً بين العسكر والديمقراطية، لم يستطع اي نظام سياسي او اي دولة ايجاد التوازن له، فالوضع دائماً مختلف لمصلحة العسكر اذا تدخل في السياسة. واذ تمكن من الحصول دون تدخل السياسة في الجيش، لم يستطع استتصال الطائفية الراسخة في النفوس، بدليل تشنّذ الجيش وانقسامه حين عصفت الغزارة بزعماء الطوائف السياسيين، فانهارت العام 1975 المؤسسة التي حرص عليها خلال ثلاثين سنة وسقطت وحدة الجيش وانضباطه، وهو ما تلاه خاصية نهاية عهدي بشاره الخوري وكميل شمعون.

الأول في اعراف الدولة اللبنانية

بماذا امتاز فؤاد شهاب؟ وما امتاز به جعله أول في اعراف الدولة اللبنانية، ومن ذلك اول قائد للجيش يعين رئيساً للحكومة (ميشال عون الثاني) فلا تقدره احلامه الى التمسك بالسلطة (كما يجري في دول العالم) واول قائد للجيش ينتخب رئيساً للجمهورية ثم اميل لحود وميشال سليمان، فلا يجعل الجيش يحكم معه (!) واول رئيس يرسّي نمطاً مستقرّاً العلاقة لبنان بجواره العربي الاصعب (اميل لحود الثاني) وخصوصاً بالدولتين الباحتين عن اكثر من موطن قدم في هذا البلد وهما مصر وسوريا، فلا يهدى السيادة والاستقلال. واول رئيس يقدم على بناء الدولة وادارتها ومؤسساتها وانظمتها وفقاً لمفاهيم وآليات متطرفة ووحيدة وكفية، فلا يضعها في ايدي العسكريين ولا السياسيين، واول رئيس يولد في عهده وجود دينامي وفاعل للاستخبارات العسكرية كي يخشى الامن وبهاب. واول رئيس يتحنى لمدة ولاية حكمه واحكام الدستور كي يحترم المنصب والنصل الذي ينتمي. واول رئيس يخرج من الرئاسة الى العزلة كي ينطوي على نفسه فلا تلاحقه لعنة الفساد والرشوة والكسب غير المشروع واستغلال السلطة ويشهر بسمعته. واول رئيس يموت فقيراً. هل يمكن يوماً تصوّر رئيس يموت فقيراً؟

وهو اول رئيس يمد نفوذه على كل الاراضي اللبنانية من غير ان يكون شعبياً، واول رئيس لا يصطدم بمناطق موصدة الا بواب في وجه سلطته، واول رئيس يمنح المصالحة الوطنية بعداً اجتماعياً كي يجذب الى حكمه الاستقرار والثبات والطمأنينة، واول رئيس يصنع المعادلة التي سينتسب منها خلفاؤه عندما يختبرون معنى تقديم الامن على الديمقراطية والعدالة والاقتصاد، وتقدم الوحدة على تطور آل الحكم. ولعل هذه الفكرة الاخيرة منفتحة في عزّ قوته من طرح موضوع تعزيز صلاحيات رئيس الجمهورية، التي كان يشكو من تقييدها بقوانين واعراف لا تسمح له بالحكم بفعالية، لكنه امتنع عن اثاره الموضوع لثلاثة يثير حساسيات الشريك المسلم.

يبدو ان القوة الثالثة "المسنقة" التي يدعو البعض الى تشكيلها عبر الانتخابات النيابية لمصلحة رئيس الجمهورية تشكلت نهاية عهد الرئيس شمعون ايضاً للحؤول دون التجديد له ولانتخاب قائد الجيش خلفاً له. وهي جزء من الخلافات المارونية التي تظهر مستحکمة كما هي دائماً.

سار كمیل شمعون في خط التحالفات الدولية على حساب رفقاء في الجبهة الاشتراكية الوطنية التي اوصلته الى الرئاسة كما اقام الى جانبه جماعة سياسية موالية، بدأها بالانقلاب على قانون الانتخاب من المحافظة الى الدائرة الفردية وخفض عدد النواب الى 44 بدلاً من 77.

لكن ما لم يدركه شمعون هو دور مؤسسة الجيش، خصوصاً لأن على رأسها رجل كفؤاد شهاب، اضحت معه مؤسسة موازية للمؤسسات الدستورية الأخرى، ولا تقل عنها تأثيراً ومقدرة على الاضطلاع بدور مستقل احياناً.

اختلف الرجالان في الرؤية حيال الدولة ومؤسساتها ولاحقاً على دور الجيش. اما السبب المباشر الذي اظهر الاختلاف فهو طلب شهاب اصدار عفو خاص عن عشائر دندش في الهرمل، بغية توفير لهم امكان الانتماء الى الوطن بتمثيلهم في البرلمان وتأمين مكاسب مادية وتحقيق انجازات لهم.

يدفع لبنان دائماً من وحده الوطنية، بالنزاع او الصراع او الاقتتال بين ابناءه، ثمناً باهظاً حين يقرر زعماؤه ادخاله في متأهله الخلافات الإقليمية والمطامع الدولية، فيما يواجه آخرون هذا الانحياز بانحياز مقابل فتفق الواقع.

هكذا حدث العام 1958 في نهاية عهد شمعون في 1975 نهاية عهد فرنجيه ونهاية عهد الجميل وخلال حكم حكومة فؤاد السنiorة. ولم يتعusz الحاكمون ولا اعتبر المحکومون.

والمشكلة الدائمة هي الاستثناء بالحكم وما زالت، حين حامل صولجان الحكم رئيساً للجمهورية او للحكومة يفترض نفسه الحاكم بأمره وينسى انه بما يمثل جزء من لبنان وليس كله.

وطالما بقي الجيش خارج الانحياز الى طرف في الحكم محابياً في الصراعات الداخلية يبقى موحداً ومتماساً، اما اذا ادخل في هذه الصراعات فإن وحده ستكون على المحك.

(٠) صدرت الطبعة الثانية من كتاب "جمهورية فؤاد شهاب" لنقولا ناصيف، عن دار "النهار" في 610 صفحات.